بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

صدق الله العظيم

obeikandl.com

obeikandl.com

رجال غيروا وجه التاريخ الإنسانى

صفوة النابهين

توضيح وتقدير..

obeikandl.com

obeikandl.com

هذه مجرد لمحات باهرة وضاءة، من حياة عدد من الرجال كانوا أروع نماذج البشرية الفاضلة..

رجال غيروا وجه التاريخ الإنسانى كله، وبقدر ما بذلوا من جهد خارق فى تلك الحقبة من تاريخ الإسلام، وقد نذروا حياتهم لغاية سامية، وبقدر ما بذلوا فى سبيل التفوق والكمال، وأنجزوا فى بضع سنين ما يعجز العقل عن تصوره، بإزاحة العالم القديم، ووثنية قرون، ثم أضاءوا الضمير الإنسانى بحقيقة التوحيد..

وهى سطور تحاول أن تقترب على إستحياء، من بعض ملامح وسمات أولئك الرجال الشاهقين من أصحاب الرسول ﷺ ومن إنجازات وتضحيات تبدو من فرط إعجازها كالأساطير، حتى كانت تلك السنوات من حياتهم هى فاتحة كتاب الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية.. وإذا كانت سيرة الصحابة معروفة، منشورة، فإنما يجب أن تشيع بين الناس، ترقية للعقول، وتزكية للأفهام، فقصص حياتهم شرف لبنى الإنسان جميعا.. هم رجال صاغهم الإسلام، وتتلمذوا على يد أستاذهم العظيم ﷺ وهو الأمين على عقول الناس وتفكيرهم..

وقصص حياتهم ارتبطت بذلك المساء حين أقبل من ذلك اليوم الذى قام فيه رسول الله ﷺ وأنذر، وبشر برسالة التوحيد.. ثم اجتمع الملأ من قريش حين إرتفع الضحى من الغد، ليتحدثوا فى هذا الأمر، فى الحدث العظيم الذى أتى به محمد ﷺ، ثم بعد ذلك أحدثوا فى هذا الحرم الأمين، ما ليس لقريش به عهد من فنون التعذيب، والمطاردة لرجال ونساء قالوا ربنا الله، واتبعوا الرسول، وهو يهون عليهم ما كانوا

يلقونه، وما أكثر ما كان يلقونه من ضروب الفتنة والقهر، من أولئك الوثنيين قساة القلوب، جفاة الطباع، غلاظ الأكباد، والذين لهم دين غليظ كحياتهم، هو هذه الوثنية الساذجة الغليظة التى لم تفكر فيها عقولهم . .

كانت لحظات البداية قد شهدتها مكة، وهى فى ذاك الوقت أشد قسوة من طغاة رؤوس الشرك، وتشتعل حرارتها تحت أشعة شمس ملتهبة، ترمى بالشرر فى مناخ عام أكثر تحفزا فى مواجهة النبى الهادى إلى نور التوحيد، وكان هؤلاء القلة من السابقين إلى الإسلام، يتجنبون قدر ما يستطيعون جاهلية المتحفزين من طغاة الكفر، والذين يفرضون سطوتهم . . عنف وجبروت وقسوة . . وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم قلة يواجهون ما لم يخطر على بال أحد . . ينزل بهم الأذى، ويطاردهم الشر فى تحد رهيب . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد فيهم ـ وهم قلة ـ إيناسا وصحبة . .

. . . . . .

وتمضى الأيام والشهور وبضع سنين، فى أرض العرب، فترى مواكب الصحابة وقد احتشدت حول ووراء رسولهم العظيم، ثوارا ومحررين . . وتقول كتب السيرة : أن هؤلاء الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم، وآمنوا به ونصروه، قد جاءوا فى أوانهم المرتقب، ومن بينهم كان سياسيون، ومفكرون، ورجال أعمال، وعسكريون بارزون، وخبراء استراتيجيون فى زمنهم، وهم جميعا كانوا فرسانا اقتحموا المعارك وانتصروا . . واقتحموا الحياة بعقيدة الإسلام . . وحققوا ما يشبه المعجزات فى بضع سنين، حين غيروا وجه التاريخ الإنسانى، وحكموا أمما كانت

ذات حضارة وأنظمة حكم مستقرة ومتطورة بحكم زمانها، وأداروا حركة التاريخ على وجه الأرض، كما يريدون وكما يشاءون، وفى تصميم وإرادة تحير عقول البشر، من أجل نشر رسالة الإسلام.. وكانت فتوحاتهم تؤثر فى الضمائر أعمق تأثير..

كيف حدث هذا من رجال، وفى زمن، ومن بيئة، أشد تخلفا، ثم يغيروا وجه التاريخ الإنسانى؟!!

هذا هو السؤال الذى يجب أن نتوقف عنده كثيرا وطويلا..

.....

.....

وحتى تكون الصورة أكثر وضوحا لدلالات هذه العظمة الباهرة لأولئك الرجال من أصحاب الرسول الكريم.. لعلنا نرجع مع التاريخ إلى أواسط القرن السادس الميلادى، وحيث كانت أحوال العرب فى مجملها أشد تخلفا، بالقياس إلى الأمم التى تجاورهم.. كانت هناك قبائل تعيش عيشة الأعراب فى بواديهم.. وفى قلب الجزيرة العربية "نجد "كانت الحياة قاسية، والعيش غليظ، والجهالة مطبقة، ولم يكن حال شمال جزيرة العرب "تهامة والحجاز "خيرا من حال "نجد "، وكانت السيادة لنظام القبائل الذى يقوم على العصبية أكثر مما يقوم على أى شىء آخر.. وإذا كانت هناك بقية من زراعة أو شىء من تجارة، فإن الملامح الرئيسية للصورة كانت ترسمها البوادى بما فيها من قسوة الحياة، وجفاء الأخلاق، وغلظ القلوب، والتنقل التماسا للمراعى، ومن لا يرحل للتجارة، يرحل تتبعا للغيث، أو التماسا للكلأ..

ويقول أصحاب الأخبار، أن العرب كانوا مجموعة قبائل مختلفة، لا يعلمون من الحضارة إلا أخلاطها، هى إلى الأساطير أقرب إلى الحق، يعانون شظف العيش، وقسوة الطبيعة، ينقسمون إلى أحياء وبطون وفصائل تتنافس فيما بينها، وكان الأغنياء لهم كل الحقوق، والرقيق لا حق لهم حتى فى أنفسهم.. ومضت حياتهم على هذا النحو، نظام لا يكفل العدل الشامل الذى يطمئن إليه الأقوياء والضعفاء.. وفى الجملة كانت البداوة تفرض على أهلها قسوة الحياة وجفاء الأخلاق !!

ومن هذه البيئة، وفى هذه الأجواء، ومن بطون تلك الحقبة من هذا الزمن.. خرج هؤلاء الرجال من صفوة النابهين، وتسيدوا العالم، ويحرروا النفس البشرية من عورات الجاهلية والوثنية، وقد أضاءوا الضمير الإنسانى بحقيقة التوحيد ونور الهداية.. وهنا نجد التساؤل يفرض نفسه بالدهشة هذه المرة: كيف حدث هذا ؟! وكيف استطاع هؤلاء الرجال قيادة مسيرة التغيير، والدفع باتجاه الخروج من الظلمات إلى النور، وحتى بعد رحيل الرسول ﷺ ؟! وما هو معدن من كانوا فى محراب الحكمة، من هؤلاء الفرسان والأبرار المتقين..

يقول أصحاب السيرة ـ وقولهم حق ـ أن أستاذهم العظيم صلى الله عليه وسلم، كان يلقنهم دروسه فى تفان عجيب، ويوقظ العقول الحيّة، وهم يرون معلم البشرية، وخاتم الأنبياء، والنور الذى رآه الناس، وهو يحيا بينهم مبشرا، وقد امتلأت قلوبهم يقينا وعزما، ويقبلون على الجهاد وهم مطمئنون إلى أنهم قد باعوا نفوسهم وأموالهم لله بالجنة.. وكان معهم برهان المنطق والعقل، وقبل كل هذا كان معهم النور الذى اتبعوه.. ولم يكن للحق عندهم سوى وجه واحد يعرفونه ويتبعونه..

وقد حفظ لنا التاريخ سيرة ومسيرة أولئك الرجال من أصحاب الرسول، والذين أبدعوا فى صياغة ذلك التلاحم بين صدق العقيدة، والولاء الوثيق للرسالة وصاحبها، والاندفاع إلى الجهاد، والاستباق إلى الغزو، وفى نفس الوقت القدرة على ممارسة حياتهم، وإدارة أعمالهم بنجاح حقق لهم وفرة من المال ،حتى صار معظمهم من أغنياء المسلمين وأكثرهم ثراء..

.....

سطور الكتاب.. صحبة فى رحاب صفوة النابهين، وفى محاولة للاقتراب من سيرة بعض صحابة الرسول ﷺ من بين مئات الصحابة الأجلاء، ولم يكن الاطلاع على بعض حياتهم كافيا للاقتراب أكثر وأكثر من عبقرية هؤلاء الرجال الذين جاءوا الحياة ـ حقا ـ فى آوانهم المرتقب، ويومهم الموعود، وحين كانت الحياة تهيب بمن يستشرف للحضارة الإنسانية مطالع جديدة، وجاء هؤلاء روادا ومستشرفين.. ولكل منهم دور مشهود، وصاحب شأن كبير فى نشر راية الإسلام..

ومع هذه السيرة العطرة ودروسها المستفادة، تحاوله السطور المتواضعة أن تقترب

ـ مثلا ـ من سيرة "المعارض الاشتراكى" أبى ذر الغفارى، أول من تولى مهمة فى نطاق العلاقات الخارجية ـ خارج مكة ـ لنشر دعوة نبى جديد، وهى مهمة خلق رأى عام يدعم الرسالة ويمهد لميلاد دولة الإسلام.. و"مصعب بن عمير" أول سفير فى الإسلام، وواجه فى سبيل المهمة مصاعب وتحديات كادت أن تودى بحياته.. ورجل الأعمال

الملياردير "عبد الرحمن بن عوف "وكان يدير أمواله، ويشارك فى الحروب، وكانت فلسفته أنه لا ينعم بكل هذا الثراء وحده، بل ينعم به مجتمعه كله.. وهناك عبقرية الفطرة الإنسانية للصحابى الجليل "سلمان الفارسى "صاحب الحالة المتفردة فى التاريخ الإنسانى، لشاب من أهل النخبة ثراء ومكانة فى بلاد فارس، يقطع آلاف الكيلومترات بحثا عن الحقيقة، وحتى يلتقى بالرسول ﷺ أخيرا، وهو صاحب الاقتراح العسكرى الإستراتيجى بحفر الخندق دفاعا عن المدينة.. و" معاوية بن أبى سفيان "أول من ركب ظهر البحر من العرب غازيا فى سبيل الله.. رجل يريد العصر والعصر يريده.. و" سعد بن أبى وقاص "الأسد فى براثنه "رجل غير كيمياء الزمن، وصاحب العبور العظيم للقضاء على إمبراطورية الفرس، وقد تحدى فيضان نهر دجلة وجيشانه.. و" عبد الله ابن عمر "صاحب فلسفة الزهد والزاهدين، ودوره المشهود فى محراب الحكمة وساحات القتال لنشر دين الله.. و"عمرو بن العاص" (أرطبون) العرب، وصاحب المواقف التى تألق فيها الذكاء والدهاء وسعة الحيلة.. و"خباب بن الأرت" صانع السيوف الذى رأى الحق وعانقه.. و"المقداد ابن عمرو" الفارس الحكيم الذى أحب الرسول ﷺ حبا ملأ قلبه وكيانه، وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بأن يحبه.. و" عبد الله بن مسعود "صاحب السر، وله مقام معلوم.. وغيرهم، ممن حاولت السطور أن تقترب من دورهم فى الحوادث المصيرية لدولة الإسلام ورسالة الإسلام..

....

وكما يقال فإن الحوادث لا تعنينا لذاتها، إن لم يكن معناها تقويما

لأعمال، وتعريفا بأقدار الناس، مما عملوه واستطاعوه. . وما عملوه واستطاعوه يبدو فى إعجازه كالأساطير، وبقدر ما بذلوا فى سبيل التفوق والعطاء .

obeikandl.com